

المحاضرة الثانية: اللغة والمجتمع والثقافة

تمهيد: إنّ الحديث عن العلاقة بين اللغة والثقافة والمجتمع يقتضي بالضرورة تعريف كل واحد من هذه المصطلحات الثلاثة أولاً، وفيما يلي تعريف موجز لكل واحد من هذه المصطلحات الثلاثة.

تعريف اللغة: اللغة تعريفات كثيرة عند الغرب وعن العرب عند القدماء وعند المحدثين، إلا أنّ الدراسات الحديثة تجمع على أنّ تعريف "ابن جني: ت392هـ" للغة هو تعريف شامل جامع مانع يختصر جلّ التعريفات القديمة والحديثة _إن لم نقل يغني عنها كلها_؛ حيث يعرف ابن جني اللغة بقوله: "أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹ وإن هذا التعريف يؤكد الى الخصائص الأساسية للغة أولاً الخاصية الصوتية، والخاصية الاجتماعية للغة؛ فاللغة لا توجد بمعزل عن الجماعة، ويظهر ذلك جلياً في كلمة "قوم" أي الجماعة، ومن جهة أخرى يشير إلى أنّ اللغة التنوع اللغوي واختلاف اللغات بتنوع الأقاليم والأمم، ويعرف ابن خلدون (ت: 808هـ) اللغة بأنّها: "عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"².

تعريف الثقافة: من الصعب بمكان تحديد مفهوم موحد للثقافة نظراً لاختلافات الكبيرة بين علماء الاجتماع والانثروبولوجيا، حيث يعرفها البريطاني تايلور: بكونها: "ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، العقيدة، الفن، الأخلاق، القانون، العادة، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"³، بهذا التعريف الوصفي يقرر "تايلور" أنّ الثقافة تعبير عن شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان وتتميز ببعدها

الجماعي، وهي مكتسبة. وبالتالي فهي لا تنشأ عن الوراثة البيولوجية، لكنّه بهذا التعريف لا يتطرق إلى وظيفتها في المجتمع.

في حين جاء في إعلان مكسيكو (اليونيسكو) في العام 1982م: "الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنّها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والمعتقدات"⁴

تعريف المجتمع: يشير مفهوم المجتمع إلى جماعات بشرية تعيش على رقعة معينة من الأرض لفترة معتبرة من الزمن تتيح إقامة علاقات مستمرة مع امكانية تحقيق درجة معينة من الاكتفاء الذاتي، وتتمثل مقومات المجتمع في مجموعة من العناصر منها: الأرض، السكان الاستمرار في الزمن بمعنى علاقات تاريخية (دين، عادات، تقاليد، ثقافة...)

أ/ علاقة اللغة بالثقافة⁵: يقرّ الدارسون أن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معيارا لتصنيف البشرية إلى أمم، ولوضع الفوارق بينها متمثلة في: الجنس المشترك والدين والقومية واللغة والثقافة:

واللغة والثقافة بوجه خاص دورا بارزا في هذا التصنيف إذ هما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الانساني في هذه الأمة وتلك، كما أن بين اللغة والثقافة علاقة وثيقة أو بتعبير آخر علاقة الجزء بالكل؛ فاللغة أخص والثقافة أعم، وأنّ بينهما علاقة التأثير والتأثر؛ فاللغة ليست مجرد ضوضاء أو أصوات تلقى في الهواء، وإنّما هي تجسيد حي لكل معارف الإنسان وخبرته ودليل شخصيته وهويته الثقافية.

إنّ الالتفات والافتراق في البيئة، اللغوية المعينة ينطبقان بصورة أخرى على الوضع الثقافي لهذه البيئة، ومثال ذلك ما عرضه "كمال بشر" في كتابه (علم اللغة الاجتماعي) للأبوة،

فهي قيمة لغوية ثقافية، ولكن يعبر عنها في مجتمعاتنا العربية بصورة متعددة؛ فهناك من يقول: بابا، يابا، يابي، ببي...إلى جانب الصيغتين الفصيحتين: أبي ووالدي.

إنّ الارتباط بين اللغة والثقافة وحدة أو تنوعا على درجات الاختلاف اللغوي والثقافي بين الثقافات واضحا لكن درجة الاختلاف بين الثقافات واضحا لكن درجة الاختلاف في الثقافات أقل في حالة التقارب اللغوي.

كما تؤدي العوامل الاقتصادية والأحداث الاجتماعي دورا مهما في السلوك الثقافي لأفراد المجتمع مما ينعكس سلبيا على الجاني اللغوي، لتظهر على السطح ألفاظ وعبارات وأساليب لم يعد توظيفها مقصورا على أصحابها من الفئات الجديدة التي ملأت الحياة بالغبار التجاوز والشذوذ في الأجواء الاجتماعية والثقافية، بل تعدى هذا التوظيف حدوده وتسلسل إلى مختلف الألسن ومختلف الطبقات.

ب/ علاقة اللغة بالمجتمع: أمّا الحديث عن التأثير والتأثر بين اللغة والمجتمع فقد تنوعت وجهات النظر فيها على النحو التالي:⁶

1. ذهب بعضهم إلى أن التركيب الاجتماعي يؤثر في شكل التركيب اللغوي والسلوك، وهذا الشكل مثل الاختلافات الموجودة بين المجتمع في المستوى السفلي والمستوى العلوي (اللغة في المدرسة واللغة في السوق)

2. وذهب البعض الآخر إلى أنّ التركيب اللغوي والسلوك يؤثران في شكل التركيب الاجتماعي؛ لأنّ اللغة قادرة على تصميم شخصية الفرد، باللغة نستطيع أن نعرف ميول الإنسان في حياته في المجتمع (أهو طبيب، أو مدرس أو فلاح وغيرها)

3. وذهب البعض إلى أنّ كلا من اللغة والمجتمع يؤثر أحدهما في الآخر. وهذا لأنّ السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأنّ حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة.

4. وذهب البعض الآخر إلى أنّه ليس هناك أي رابط على الإطلاق بين التركيب اللغوي والتركيب الاجتماعي، وأنّ كلا منهما مستقل عن الآخر.

المراجع:

¹: ابن جني، الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، د. ط، 1957م، ص33.

²: عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، د. ط، د. ت، ص603.

³: محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1991م، ص50.

⁴: سليمة فيلاي، بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة _دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة_، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013م/ 2014م، ص111.

⁵: ينظر: حيزيو خيروش، محاضرات عن بعد: مادة علم اللغة الاجتماعي، قسم اللغة العربية، ص2، 3.

⁶: فيروز سباكير أحمد، رحمة هدايات، نير حانيفاتيس شولها، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، المؤتمر الوطني للغة العربية، جامعة نقري مالان، 9أكتوبر 2021م، ص573.